المحاضرة رقم 01

نشأة القصة الجزائرية القصيرة

توطئة:

شهدت البدايات الأولى لظهور القصة الجزائرية القصيرة تأخرا في مرافقة الحركة النقدية لها. ومن ثم لم يكن صداها على جانب من التأثير. فلم يكن الشأن الثقافي موجها نحو تطوير الفنون من الناحية الشكلية والموضوعية، وإنما المزية في تعبئة المضامين التي تحدث تأثيرا في النفوس. وقد كان عبد الله ركيبي من أوائل المهتمين بمتابعة حركة ظهور، وتطور فن القصة القصيرة. وقد أنجز في ذلك بحثا أكاديميا موسوما بـ: القصة الجزائرية القصيرة. وكان تأريخا ودراسة وتتبعا لمراحل تطور هذا الفن التعبيري الجديد، برغم كثرة الصعوبات، والعراقيل. وقد بنى طرحه حول ملابسات ظهور القصة في الجزائر على التمييز بين نمطين تعبيريين كان لهما الأثر البالغ في نشوء ذلك الفن. وهما المقال القصصي، والصورة القصصية.

1- المقال القصصي:

يعد المقال القصصي البداية الأولى، أو الشكل الأول الذي ظهرت به القصة القصيرة. ولم يلتفت أدباء الجزائر في مراحل الظهور الأولى إلى الخصائص الأجناسية التي تميز القصة كفن أدبي عالمي من حيث البنية، والملامح الشكلية. «فكاتب المقال القصصي – وقد ركز اهتمامه على الفكرة – يبدأ بمقدمة خطابية وعظية يتبعها بسرد الحوادث. وقد يعكس هذا فيبدأ بسرد وبوصف للمناظر أو الحوادث ثم يعقب ذلك بخطبة أو بمقال قصير يؤكد فيه الهدف والفكرة التي يكتب من أجلها. وقد يعمد الكاتب إلى أسلوب المحاضرات والمحاورات.» [1]

وبالنظر إلى التأثر الواضح بأسلوب التعبير القديم المستمد من التراث العربي الموجود في النصوص النثرية المتنوعة؛ من مثل الخطابة، والمقامة، والوصايا وغيرها، فإن هذا النمط من النثر« قد تأثر تأثرا واضحا بأسلوب المقامة الذي يتمثل في الإطار

[1]) عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة. ص55

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الواسع الذي لا يتركز إلا حول مكان أو شخص وفي السرد الذي يحتفل باللغة والتعابير الجزلة وفي وجود شخص يحكي عن آخر أفعاله.»[1].

ويبدو الأمر بشكل أكبر في مجال اللغة؛ إذ كان حرص الحركة الإصلاحية منصبا على استعادة بريق اللغة العربية، بتراكيبها الجزلة، وأسلوبها الرصين، وألفاظها الفصيحة. «غير أن الفرق بين المقال القصصي والمقامة إنما هو في وظيفة كل منهما. فلم يكن الهدف في المقال القصصي هو الترفيه أو التسلية أو تعليم اللغة والتلاعب بالألفاظ والجري وراء البديع.» [2].

وقد كان المقال القصصي في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية يحاول ملامسة مختلف المشاكل، والآفات الاجتماعية التي كانت سائدة، وانشغل الناس بها، مثل الدعوات الصاخبة التي تنادي بتحرير المرأة سواء من دعاة الإدماج، وأصحاب الثقافة الفرنسية، أم من الأصداء التي كانت تأتي من المشرق، كدعوات قاسم أمين حول تحرير المرأة، وسفورها. ويمكن تأكيد ذلك بما أورده الدكتور عبد الله الركيبي في قوله: « وقد ركز المقال القصصي – فيما قبل الحرب العالمية الثانية – على قضية السفور والحجاب وعلى المرأة. ولا شك أن دعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة من جهة، والأفكار التحررية التي نادى بها المثقفون بالفرنسية من جهة أخرى كان لها تأثيرها، الأمر الذي جعل الكتاب يفندون فكرة السفور ويدعون إلى التمسك بالحجاب.» [3].

ومثل هذه المواضيع كانت سائدة هذه المرحلة الأولى التي تنتهي بقيام الحرب العالمية الثانية. وطبيعي أن تسير الأمور نحو التجدد، والتطور، فقد تلا هذه المرحلة بعض التغير في طبيعة المعالجة، وطرح الرؤى والتصورات نتيجة تغير بعض الإفرازات، والظروف المحيطة بالجزائر. وأما« في المرحلة الثانية التي تبدأ بعدها حتى قيام الثورة، فقد تطور المقال القصصي – خاصة من ناحية المضمون – فأخذ ينتقد مظاهر الحياة والتقاليد الاجتماعية وأصبح يركز على هذه التقاليد التي تعوق تطور المجتمع بعد أن كان التركيز على الناحية الإصلاحية وعلى الأوهام والخرافات.»[4]

ولم يخرج عن دائرة الكتابة النثرية التي تشبه إلى حد بعيد المقال « بيد أن دوره التعليمي كان أوضح من دوره كشكل أدبي وفني، ومن هنا لا يمكن أن يعد قصة قصيرة،

[1]) عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة. ص55.
[2]) المرجع نفسه. ص56.
[3]) المرجع نفسه. ص59.
[4]) عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة. ص56.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وإنما هو شكل قصصي اعتمد على بعض العناصر القصصية كالسرد والحوار والحدث ولم يحتفل بسمات القصة الفنية.» [1]

ويمكن القول، إن هذا الشكل الأدبي تماشيا مع المد الفكري، والإصلاحي «ظهر المقال القصصي ليبلور أفكار هذه الحركة الإصلاحية ويساهم في المعركة بين أنصار هذه الحركة وبين أنصار الإدماج والرجعية الدينية المتمثلة في رجال الدين الرسميين وفي أصحاب الطرق والزوايا.» [2]

وحين اندلعت ثورة التحرير المباركة، لم يعد المجال للتعبير هو الأولى، ولكن نطق الرصاص فما يباح كلام. وكان الصوت الأعلى هو صوت المعركة، مع اعترافنا بأن كثيرا من الثورات المسلحة رافقتها ثورات القلم، والكلمة. ونحن لا ننكر الأمر على أدبنا الجزائري، ولكن المعركة كانت عنيفة، وفرنسا كانت تمارس سياسة الأرض المحروقة، والتدمير الكلي لكل ما هو متحرك على الأرض، ومثل هذا الأمر أدى إلى هدوء فكري مؤقت. و«إن المقال القصصي قد قام بدور بارز في الحياة الأدبية، والفكرية، ومهد لظهور القصة الفنية. توقف المقال القصصي عند قيام الثورة التحريرية.» [3]. وذلك مثال على غلبة صوت السلاح على صوت القلم.

وفي سياق التأثر بأدب المشرق العربي، تأتي الخواطر القصصية التي كتبها أحمد رضا حوحو على لسان حماره، وذلك تأسيا بكتاب توفيق الحكيم الذي أهدي إليه من قبل أحد أصدقائه، وهو عبد الرحمن شيبان، هذا الأخير الذي يعترف بفضل هذا الإهداء قائلا: «قدمت للأخ (حوحو) حماري قال لي للأستاذ توفيق الحكيم (وكانت الحرب قد حرمتنا وقتا طويلا من بريد الشرق) فالتهمه في سهرة واحدة، وأعاده إلي في الغد، وهو معجب بموضوعه، مأخوذ بأسلوبه، فقلت – وقد انقطعنا عن النشاط الكتابي في البصائر- لا تدع هذه الجذوة التي أوقدها الأديب الحكيم في نفسك، تخمد دون أن تقوم بعمل ما. فقال ماذا تريدني أن أعمل؟ قلت: تجد قلمك لتوجيه هذا الشعب الذي كثر مستغلوه وقل خادموه، على نحو ما فعل توفيق الحكيم بمصر.. وذلك ما كان» [4]. وقد يكون هذا التأثر أفرز تغيرا في مسيرة الأدب الجزائري. حيث اعتمد الحسّ الإبداعي الساخر، معالجا مشاكل المجتمع بطابع هزلي. « وأفضل نموذج للمقالة القصصية، مجموعة أحمد رضا حوحو مع حمار الحكيم التي نشرها في البصائر ثم أصدرها في كتاب سنة 1953، وفيها يحاور الحمار ويناقش على لسانه مواضيع سياسية واجتماعية مختلفة.» [5]

---

[1]) المرجع نفسه. ص57.
[2]) المرجع نفسه. ص58.
[3]) أنيسة بركات درّار: أدب النضال في الجزائر. ص179.
[4]) أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982. ص9.
[5]) نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير. ص307.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

2- الصورة القصصية:

ظهر أسلوب تعبيري آخر في ساحة الأدب الجزائري إبان تلك الفترة يتميز قليلا عن المقال القصصي، وقد سمي الصورة القصصية، وهو يعتمد السرد في شكله الظاهري، و «إذا كان المقال القصصي هو البذور الأولى لبداية القصة فإن الصورة القصصية هي البداية الحقيقية للقصة الجزائرية القصيرة. وقد نشأت في نفس الوقت مع المقال القصصي وسارت معه واستمرت حتى الاستقلال، بينما توقف المقال عند قيام الثورة.» **(1)**

وكانت المرأة من بين أهم الموضوعات التي اهتم بها هذا الشكل. ويعود ذلك إلى القيمة التي أولاها مثقفو تلك المرحلة لها باعتبار دورها الأساسي في تشكيل ملامح الجيل الذي يستطيع أن يحافظ على عناصر مكونات هويته العربية الإسلامية. فكانت « وقد شغل كتاب الصورة القصصية بشكل كبير موضوع الإلحاح على تعليم وزواجها[المرأة] على أساس من التكافؤ والتفاهم واحترام إرادتها، بالإضافة إلى الموضوعات التي عالجها المقال القصصي مثل: الفرنسة والتزوج بالأجنبيات والحث على تعليم اللغة العربية وغيرها من الموضوعات المختلفة.» **(2)**

والصورة القصصية لا تتكامل فيها العناصر الأجناسية « فهي تهدف إلى رسم صورة للطبيعة أو صورة كاريكاتورية لشخصية إنسانية أو التركيز على فكرة معينة.» **(3)**. وبالنظر إلى خاصية القص التي تتميز بها، وتحاول من خلالها معالجة فكرة ما تتعلق بصلب المجتمع؛ فإن« عناصر القصة تبدو فيها غير مكتملة فهي تهتم بعنصر القص وبالحديث كما هو لا بتطوره، وبالشخصية بذاتها لا برسمها، وتحديدها تحديدا يوضح قسماتها. فالشخصية فيها نموذجية ثابتة غير متطورة ولا متفاعلة مع الحدث مما يفقدها عنصر الصراع أو الحركة الدافعة.» **(4)**

---

[1]) عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة. ص87.
[2]) عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة. ص89.
[3]) المرجع نفسه. ص89.
[4]) المرجع نفسه. ص90.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.